مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كور ١١:٣١-٣٣؛ ١٢:١-٩)

يا إخوةُ قد عَلِمَ اللهُ أبو ربِّنا يسوعَ المسيحِ المبارَكُ إلى الأبدِ أنّي لا أكذِبُ* كانَ بدمشقَ الحاكمُ تحتَ إمرةِ الملكِ الحارثِ يحرُسُ مدينةَ الدمشقيينَ ليَقبِضَ عليَّ* فدُلّيتُ من كُوَّةٍ في زنبيلٍ من السورِ ونجوتُ من يديهِ* إنَّهُ لا يُوافقُني أن أفتَخِرَ فآتي إلى رُؤى الربِّ وإعلاناتِهِ* إنّي أعرِفُ إنساناً في المسيحِ منذُ أربعَ عشرَةَ سنةً (أفي الجسدِ لستُ أعلمُ أم خارجَ الجسدِ لستُ أعلمُ. اللهُ يعلمُ) اختُطِفَ إلى السماءِ الثالثةِ* وأعرِفُ أنَّ هذا الإنسانَ (أفي الجسدِ أم خارجَ الجسدِ لستُ أعلمُ. اللهُ يعلمُ)* اختُطِفَ إلى الفردوسِ وسمعَ كلماتٍ سِرِيَّةً لا يحِلُّ لإنسانٍ أن ينطِقَ بها* فمن جهةِ هذا أفتخِرُ. وأمَّا من جهةِ نفسي فلا أفتخِرُ إلاَّ بأوهاني* فإنّي لو أردتُ الإفتخارَ لم أكُن جاهلاً لأني أقولُ الحقَّ. لكني

قوتي في الضعف تكمل

في رسالة هذا الأحد يلقي علينا القديس بولس تعليماً بليغاً حول النعمة الإلهية وفعلها، ولا سيما أنه مستقىً من خبرة روحية عميقة عاشها الرسول. فبعد التماسه من الله الخلاص من «شوكة في الجسد»، ثلاثاً، أتاه جواب الله لا استجابة مباشرة لموضوع الالتماس، بل ضمانة مزدوجة الإعلان: نعمة الله تغني عن أية حاجة أخرى، وقوته تعالى تجد في ضعف البشر كمالها.

الإيمان بكفاية النعمة الإلهية محوري في جهاد الرسول بولس الشخصي، وفي خطابه، وهو يتطرق إليه أيضاً بشكل أوضح في مواضع أخرى ولا سيما في الرسالة إلى أهل رومية حيث نسمعه مؤكداً أن نعمة الله تزداد حيثما تكثر الخطيئة (رو ٥: ٢٠). هذا الإعلان البادي للوهلة الأولى جدلياً غريباً، يتوضّح جلياً في انتصار الله الموعود، حيث الكلمة الفصل تؤول للنعمة والبر لا للخطيئة، للحياة لا للموت على ما يتابع الرسول مفسّراً (٥:٢١). وفي رسالته الأولى إلى الكورنثيين، يستعير القديس بولس من حدث خروج إسرائيل من مصر دعماً لإيمانه بقوة النعمة: لا تقع على المؤمن تجربة، مهما طالت أو قست، إلا وكان لها من عند الله منفذاً، «خروجاً» جديداً (١كور ١٠:١٣).

قوة الله وضعف البشر أيضاً في إيمان القديس بولس متلازمان للخلاص. الله يخزي الحكماء بالجهّال والأقوياء بالضعفاء، وبأدنياء العالم والمزدرى بهم يبطل من الوجود من كانوا بذواتهم مكتفين. المعادلة هنا ولا أبسط، وإن كان في ظاهرها تناقض: كلما أيقن الإنسان ضعفه استمد من الله قوة للخلاص (١كور ١:٢٦-٣٠). خلاص الإنسان إذاً، وبلا جدل، ممكن حصراً بنعمة الله وقوّته، وبدونهما لا خلاص البتة. هذا الإعلان تجلى في ملئه بالمسيح يسوع قوة الله وحكمته، الذي كان لليهود المشترطين آيات باهرة ليؤمنوا عثرة، ولليونانيين أسرى الحكمة والمنطق البشريين جهالة. لقد «استحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة»، يقول القديس بولس في الرسالة نفسها.

أما عن كمال النعمة الإلهية في

العدد ٤٤/٢٠٠٥

الأحد ٣٠ تشرين الأول

تذكار القديسين الشهيدين

زينوبيوس وزينوبيا أخته

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثامن

أتحاشى لئلاَّ يظُنَّ بي أحدٌ فوقَ ما يراني عليهِ أو يسمعهُ مني* ولئلاَّ أستكبر بفرطِ الإعلاناتِ أُعطيتُ شوكةً في الجسدِ ملاكَ الشيطانِ ليلطِمني لئلاَّ أستكبرَ* ولهذا طَلبتُ إلى الربِّ ثلاثَ مرَّاتٍ أن تُفارقني* فقالَ لي تكفيك نعمتي. لأنَّ قوَّتي في الضُّعفِ تكمَلُ* فبكُلِّ سرورٍ أفتخِرُ بالحريِّ بأوهاني لتستقِرَّ فيَّ قوَّةُ المسيح.

الإنجيل

(لوقا ١٦:١٩–٣١)

قالَ الربُّ كانَ إنسانٌ غنيٌّ يلبَسُ الأرجوان والبزَّ ويتنعَّمُ كلَّ يومٍ تنعُّماً فاخراً* وكانَ مسكينٌ اسمهُ لعازرُ مطروحاً عند بابهِ مُصاباً بالقُروحِ* وكانَ يشتهي أن يشبعَ من الفتاتِ الذي يسقطُ من مائدةِ الغني. بل كانتِ الكلابُ تأتي وتلحسُ قروحهُ* ثمَّ ماتَ المسكينُ فنقلتهُ الملائكةُ إلى حضنِ إبرهيمَ. وماتَ الغني أيضاً فدُفنَ* فرفعَ عينيهِ في الجحيمِ وهو في العذابِ فرأى إبرهيمَ من بعيدٍ ولعازرُ في حضنهِ* فنادى قائلاً يا أبتِ إبرهيمُ ارحمني وأرسِل لعازرَ ليُغمِّسَ طرَفَ إصبَعهِ في الماءِ ويبرِّد لساني لأني مُعذَّبٌ في هذا اللهيبِ* فقالَ إبرهيمُ تذكَّرْ يا ابني أنَّك ضعف البشر، وهو التعليم الذي ناله القديس مراراً من الله وصولاً إلى الإعلان الإلهي الأصرح الذي تُختَم به رسالة اليوم، يقول الرسول بولس إن الرجاء في الإيمان هو بحد ذاته تجلٍّ لقوة الله في ضعفنا. الواضعون رجاءهم في الله دون سواه، يختبرون كيف أن ما ليس ممكناً للبشر تحقيقه بذواتهم يأتيهم من الخالق عطية مجانية فائضة، أي بالنعمة. إنجيل المسيح هو إذاً للذين يؤمنون «قوة الله للخلاص» (رو ١٦:١)، والبشر هم أوانٍ من الفخّار (أي قليلة القيمة سهلة العطب) ينسكب فيها الكنز الإلهي الأثمن، «ليكون فضل القوة لله لا منا» (٢ كور ٤:٧).

لعل هذا التجلي التناقضي، إذا جاز لنا التعبير، لقوة الله في ضعف البشر هو ما يدعو، بل يحثّ، القديس بولس على الافتخار بضعفه راداً المجد لله وحده. فلا فعل حقيقياً إلا لقوة الله وكل ما عداها وهمٌ، فيمسي افتخار المؤمن بضعفه – متمثلاً مثال الرسول بولس – عرفاناً بنعمة الله وتشبثاً بها. واستعمال الرسول لعبارة «قوة المسيح» مرده إلى أن المسيح الذي قبل بالصليب أقصى ضعف وإذلال هو نفسه «سمة» قوة الله، هذه السمة التي حققت كمالها بقيامته الظافرة من بين الأموات. والعبارة كما وردت في لغة النص الأصلي تعني القوة الآتية من المسيح، والممنوحة لنا به وعبره. وبقوله «لكي تحل علي قوة المسيح» يلتمس القديس بولس، وعلى منحاه كل مؤمن، أن يمسي محلاً لقوة الله التي بالضعف تكمل.

على غرار ما فعل الرسول بولس، لقد اختار المسيحيون الصليب علامة مركزية لإيمانهم لأن الصليب يحوي كل معاني ذاك الإعلان أو الدليل الخلاصي أن لا قوة إلا من الله تعالى وبه. قوة الصليب ما انتهت بموت السيد عليه لكنه بقي شاهداً بعد الصلب على قوة الله ونعمته ومحبته التي لا وصف لها للبشر. هذا التضاد بين الضعف والقوة له في المسيح المخلص أجلى معانيه: من جهة، يُصلَب المسيح ضعيفاً مستسلماً – كما نحن خاضعون – لقوة القهر والموت. ولو كانت قصة الفداء قد توقفت هنا لكنا «أشقى جميع الناس» (١كور ١٩:١٥)، ولما كان لنا مسند للرجاء. لكن المسيح، من جهة أخرى، يغلب الموت قائماً فيمسي تحقيقاً للقوة الإلهية في ضعف البشر، ووعداً من الكلي القدرة بالقيامة لكل مؤمن يلبس المسيح ويحفظ اللباس بلا دنس. من رأى في ضعفه الذاتي محلاً لتجلي قوة الله يمكنه، كما كان لبولس، أن يصبح لقوة المسيح مسكناً وإناءً يفيض لكثيرين.

البخور

«وجاءَ ملاكٌ آخرُ ووقفَ عندَ المذبحِ ومعه مبخرةٌ من ذهبٍ وأُعطي بخوراً كثيراً لكي يقدِّمه مع صلواتِ القديسينَ جميعهم على مذبحِ الذَّهبِ الذي أمام العرشِ، فصعِدَ دُخانُ البُخورِ مع صلواتِ القديسينَ من يدِ الملاكِ أمامَ اللهِ» (رؤ ٨: ٣و٤).

عندما يدخل الإنسان إلى الكنيسة أو إلى منزل بخَّرت فيه ربّة المنزل الأيقونات ويتنشق رائحة البخور العطرة الزكية يخالجه شعور فريد بوجود الله في هذا المكان فتفرح نفسه في داخله ويتجه فكره نحو العلى. كل هذا لأن الإنسان يستخدم حواسه كلها لكي يرتقي ويسمو نحو الله. بها يتذوق الإنسان ملكوت الله ويشم رائحته وينظر نوره ويسمع

نِلتَ خيراتِكَ في حياتِكَ ولعازرُ كذلك بلاياهُ. والآنَ فهو يتعزَّى وأنت تتعذَّبُ* وعلاوةً على هذا كلِّه فبيننا وبينكم هوَّةٌ عظيمةٌ قد أُثبتت حتى إنَّ الذين يريدونَ أن يجتازوا من هنا إليكم لا يستطيعون ولا الذين هناك أن يعبُروا إلينا* فقال أسألكَ إذاً يا أبتِ أنْ تُرسِلَهُ إلى بيت أبي* فإنَّ لي خمسةَ إخوة حتى يشهدَ لهم لكي لا يأتوا هم أيضاً إلى موضعِ العذابِ هذا* فقالَ لهُ إبرهيم إنَّ عندهم موسى والأنبياءَ فليسمعوا منهم* قال لا يا أبتِ إبرهيمُ بل إذا مضى إليهم واحدٌ من الأموات يتوبون* فقال له إن لم يسمعوا من موسى والأنبياءِ فإنهم ولا إن قامَ واحدٌ من الأموات يصدّقونه.

تأمل

حوار الغني مع إبرهيم موجّه إلى المستمعين ليسوع القدماء والحديثين، الذين يطلبون «آيات» تبرهن عن حقيقة الإنجيل. كما في روايات أخرى يرفض يسوع هنا أيضاً أن يصنع عجائب وآيات باهرة من أجل إقبال المستمعين إلى الإيمان. يُرسل المتردّدين إلى كلمة الله كما هي معلنة في سياق تاريخ التدبير كلامه الحلو. حواسه كلها تشترك في العبادة عبر الطقوس. بكلام آخر الإنسان لا يعبد الله بروحه فقط بل بكل جسده أيضاً وحواسه. يقول القديس يوحنا كرونشتادت الروسي (القرن ١٩) انه «حينما نشم رائحة البخور الزكية تجتمع حواسنا وتأخذ النفس نشوة روحية بتنسّم رائحة الفضيلة والتقوى وحلاوة بيت الله. فنتنهد على خطايانا المُرة، ونتذكر قول الرسول بولس: «شكراً لله الذي يقودُنا في موكبِ نُصرته في المسيح كلَّ حينٍ ويُظهرُ بنا رائحةَ معرفتهِ في كُلِّ مكانٍ. لأننا رائحةُ المسيحِ الزَّكيةُ للهِ» (٢كو ٢: ١٤ و١٥).

يشكّل البخور أحد العناصر الأساسية للعبادة والصلاة في العهد القديم. في الإصحاح الثلاثين من سفر الخروج حيث يعطي الله الإرشادات لموسى حول بناء خيمة الإجتماع، نقرأ أيضاً الوصية: «وتصنعُ مذبحاً لإيقادِ البَخورِ» (آية ١). على هذا المذبح يوقد هرون (أخو موسى) صباحاً ومساءً «بخوراً دائماً أمام الرب في أجيالِكم» (آية ٨).

البخور المقدَّم على قدس الأقداس (الهيكل) هو بخور خاص لا يجوز استعماله لغير الهيكل **حيث الرب يجتمع بالشعب**: «وقالَ الربُّ لموسى: خذ لكَ أعطاراً، مَيعةً وأظفاراً وقِنَّةً عطرةً ولُباناً نقيًّا تكونُ أجزاءً متساويَّةً. فتصنعها بخوراً عطراً صنعةَ العطَّار مُملَّحاً نقيًّا مقدَّساً. وتسحقُ منه ناعماً وتجعلُ منهُ قُدَّامَ الشهادةِ في خيمةِ الاجتماعِ حيثُ أجتمعُ بك. قُدسَ أقداس يكونُ عندكم. والبُخورُ الذي تصنعُه على مقاديرهِ لا تصنعوا لأنفسِكم. يكونُ عندكَ مُقدَّساً للربِّ. كلُّ مَن صنعَ مِثلهُ ليَشُّمه يُقطَعُ من شعبه» (٣٤–٣٨). كأننا نقرأ في هذه الآيات ان البخور مرتبط بالحضور الإلهي، وإن دخان البخور يرمز إلى هذا الحضور. هذا ما نقرأه أيضاً في سفر اشعياء عندما ملأ الدخان الهيكل فكان دلالة على ان مجد الرب قد ملأ الهيكل (٦: ١–٤). كذلك عندما صعد موسى إلى جبل سيناء ليتسلَّم لوحَيْ الوصايا من الرب «غطَّى السَّحابُ الجبلَ وحلَّ مجدُ الرَّبِّ على جبلِ سيناءَ وغطَّاهُ السَّحابُ ستَّةَ أيامٍ» (خر ٢٤: ١٥–١٦).

إلى جانب ارتباط البخور بالحضور الإلهي، فإن دخان البخور الموضوع على جمر والمرتفع إلى السماء هو صورة صلواتنا المرتفعة من قلب ملتهب بمحبة الله، كما يقول كاتب المزامير «لتستقم صلاتي كالبخورِ أمامك وارتفاع يدي ذبيحةً مسائية» (مز ١٤١:٢). هذا المفهوم نجد صداه في رؤيا يوحنا حيث يكتب عن الأربعة والعشرين شيخاً الساجدين أمام الخروف، الرب، وفي يد كل واحد «جامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلواتُ القديسين» (٥: ٨). التبخير دعوة لنا كي نكون حارّين في الصلاة والروحِ كالجمر المُحرق للبخور، لكي تحرَق كل أشواكَ الخطيئة والشر في داخلنا.

تقديم البخور في الكتاب المقدس يحمل معنى الولاء والطاعة للإله. لذا كان تحذير الرب لموسى من أن يقدموا البخور لغير الله. حتى أن الأنبياء في العهد القديم كانوا ينتقدون الشعب الذي يقدم البخورِ للبعل: «تبخرون للبعل وتسيرونَ وراءَ آلهةٍ أخرى لم تعرفوها» (إر ٧: ٩). فالشعوب الوثنية كانت تبخِّر أيضاً لآلهتها الوثنية وتقدِّم البخور أمام التماثيل. أيضاً عندما أتى المجوس من المشرق ليسجدوا للملك

الإلهي وكما هي ظاهرة في الكتاب المقدس. الإيمان بالله الذي يقود إلى الخلاص لا يرتكز على عجائب خارقة تفوق الطبيعة، بل على الاصغاء والانصياع لكلمة الله. الإيمان المعتمد على آيات هو إيمان عابر يستند إلى المنطق البشري الضعيف الذي لا يستطيع أن يفسّر الأحداث. يشبّه إيمان البشر بالأسرار في الديانات القديمة والوثنية التي تحاول أن تبهر التابعين لها عن طريق الأحداث العجائبية.

لا تبغي المسيحية جذب المؤمنين عن طريق العجب. مركز المسيحية وسلامها يبقى كلمة الله وإعلانها عن طريق الأنبياء وابن الله المتجسّد، بواسطة الاعلان الإلهي والاحتكاك مع الله والإعلان الإلهي يعبّر عن «الكلمة» بطرق مختلفة. والكلمة تدرّب المسيحي ابتداءً من دخوله في المسيحية، تقويّه عن طريق الأسرار، ترشده عن طريق المطالعة والدراسة، تجعله كارزاً ورسولاً. لا يتوقف الرسول بولس عن تذكير المؤمنين بقوّة كلمة الله وفعلها. أمّا الأحداث العجائبية التي قام بها الله، فما هي إلاّ تعابير مختلفة عن كلمته ودلائل تدفع الإنسان لاقتبال إعلاناته.

الأستاذ سوتيانوس

الذي رأوا نجمه في المشارق، جلبوا المعاني السامية لتقديم البخور استمرت من العهد القديم إلى العهد الجديد وخاصة عند المسيحيين من أصل يهودي. إلا أن بعض الكتّاب المسيحيين من أصل وثني، في القرون الثلاثة الأولى، لم يهتموا بالبخور وانتقدوه، ومنهم القديسين أثيناغوراس المدافع وإقليمس الإسكندري والكاتب ترتليان. موقف هؤلاء نابع من خوفهم من أن يكون البخور مرتبط بالوثنية، إذ كان المسيحيون يُجبرون على تقديم البخور أمام تماثيل الآلهة الوثنية في زمن الاضطهادات وإلا تعرّضوا للقتل. مع زوال الاضطهادات استعاد البخور مكانته في الجماعة المسيحية حتى انه لدينا صلاة خاصة قديمة تتلى عند تقديم البخور: «بخوراً نقدِّم لك أيها المسيح الإله لرائحة زكية روحانية، فتقبّله على مذبحك السماوي وأرسل لنا عوضه نعمة روحك الكلي قدسه». كلما رفعنا البخور نكون نستمطر نعمة الروح القدس علينا.

التبخير إذاً هو تعبير عن توقير الخليقة للخالق وعن قداسته الحاضرة بين الشعب. التبخير أيضاً في العبادة المسيحية يُقام كتحضير وتقديس، مثلاً تبخير المائدة المقدسة قبل التقدمة تهيئة لوضع القرابين عليها. كما يشير إلى عمل الروح القدس في تقديس الأمكنة وحلول الروح القدس في هيكل قدسه. لذا في خدمة تدشين الكنائس يتم تبخير الجدران إلى جانب نضحها بالماء المقدس. التبخير أيضاً تعبير احترام مقدس، مثلاً تبخير أيقونات القديسين تكريماً للروح القدس الذي عمل بهم وقدَّسهم. نحترم سيرتهم ونطلب منهم أن يرفعوا صلاتنا أمام الله (روؤ ٨:٣-٤). كذلك يبخِّر الكاهن المؤمنين إقراراً بصورة الله في كل إنسان وبأن كل إنسان مدعو للقداسة: «أم لستم تعلمون أنَّ جسدكم هو هيكلٌ للروح القدس» (١كور ٦:١٩). هل نحن نسعى فعلاً لأن نكون هياكل للروح؟

التبخير في المسيحية مرتبط بالصلاة فقط وليس بالتنجيم أو الشعوذة. حبذا لو تعود تلك الأيام التي كانت فيها تفوح رائحة البخور من منازلنا.

نقل رفات القديس جاورجيوس

بمناسبة ذكرى نقل رفات القديس جاورجيوس يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأربعاء ٢ تشرين الثاني ٢٠٠٥ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الخميس ٣ تشرين الثاني ٢٠٠٥ في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة.

جوقة الكاتدرائية

على من يرغب من الشبان والفتيات ذوي الأصوات الجيدة الانضمام إلى جوقة كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة الاتصال بالأب رومانوس جبران على أحد الرقمين ٠١/٩٨٠٩٢٠ أو ٠٣/٥٦٨٦٦٠ لتسجيل أسمائهم.

يجرى فحص القبول يوم السبت ١٢ تشرين الثاني ٢٠٠٥ عند السابعة مساءً في الكاتدرائية، وتبدأ التمارين يوم السبت في ١٩ تشرين الثاني ٢٠٠٥ في الكاتدرائية عند السابعة مساءً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت: